□ عُلُوُّ هِمَّة الموالي □

كم هو عظيم .. إسلامنا الشاهق الذي أظهر طاقات الأفذاذ ، وسوَّى بين الناس ، فقال تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .. بل ويجعل من الموالي الربَّانيِّين سادةً ؛ شِسعُ نعالهم تفوق الهامَ والجبين من ملوك العرب والفرس والروم .. تشرُفُ الدنيا بعُلُوِّ هِمَمِهم وسبْقِهم ، وسُمُوِّ عزْمهم؛منهم :

بلال بن رباح مُؤذِّن رسول الله ﷺ :

بلال رسول الله خيرُ بلال ، كما قال ابن عمر .

السَّيِّد المُتعبِّد المُتجرِّد عتيق الصِّدِّيق ، عَلَمُ المُمتحَنين في الدين والمعذَّبين ، خازن الرسول الأمين ، السابق الوامق ، والمتوكِّل الواثق ، قاطع العلائق ، والآخذ بالوثائق .

قال القاسم بن عبد الرحمن : أوَّلُ مَنْ أذَّن بلالٌ .

عن عبد الله قال : «أول مَنْ أظهر إسلامه سبعةٌ: رسول الله ﷺ ، وأبو بكر،وعمَّار ، وأُمُّه سُمَيَّة ، وبلال ، وصُهيب ، والمقداد . فأمَّا النبي ﷺ وأبو بكر فمنعهما الله بقومهما ، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ، وصهروهم في الشمس ، فما منهم أحد إلا وأتاهم على ما أرادوا إلا بلال ، فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه ، فأعطوْه الولدان ، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة ، وهو يقول : أحدٌ أحدٌ »[1].

وانظر إلى عُلُوِّ هِمَّة مَنْ قال فيه عمر: «أبو بكر سيِّدُنا، أعتق بلالًا سيِّدَنا».

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ لبلال عند صلاة

(١) إسناده حسن : أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٤٩/١، وابن سعد ، والذهبي في السير ٣٤٧/١،٣٤٨ .

الصبح : « حدِّثْني بأرجى عمل عملتَهُ في الإسلام ، فإني قد سمعتُ الليلة خشفةَ نعليك بين يديَّ في الجنة » . قال : ما عملتُ عملًا أرجى من أنِّي لم أتطَهَّرْ طهورًا تامًّا في ساعةٍ من ليل ولا نهار إلا صلَّيتُ لربِّي ما كُتبَ لي أن أُصلِّي [(١)] .

وعن بُريدة قال: أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالًا، فقال: «بم سَبقتني إلى الجنة؟ ما دخلتُ الجنة قطُّ إلا سمعتُ خَشْخشتك أمامي، إنِّي دخلتُ الجنة البارحة فسمعتُ خَشْخشتَك أمامي، وأتيتُ على قصر من ذهب، فقلتُ: لمن هذا ؟ قالوا لعمر » . فقال بلال : ما أذَّنتُ قط إلا صلَّيتُ ركعتين ، وما أصابني حَدَثٌ إلا توضَّأتُ ، ورأيتُ أنَّ لله علي ركعتين أركعهُما ، فقال : « بها » [(٢)] .

وفي حديث عمرو بن عبسة عند مسلم : فقلتُ : من اتَّبعك ؟ فقال رسول الله ﷺ:« حُرٌّ وعبدٌ » . فإذا معه أبو بكر وبلال .

عن قيس قال : اشترى أبو بكر بلالًا – وهو مدفون في الحجارة – بخمسة أواق ذهبًا ، فقالوا : لو أبيتَ إلا أوقية لبعناكه ، قال : لو أبيْتم إلا مائة أوقية لأخذتُه [(٣)] .

وبلال رضي الله عنه ممَّن يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يُريدون وجهه :

عن سعد قال : « كنا مع رسول الله ﷺ ستَّة نفر ، فقال المشركون : اطرد هؤلاء عنك فلا يجترئون علينا ، وكنتُ أنا وابن مسعود وبلال ورجل من هُذَيْل

---

(١) أخرجه البخاري ومسلم . والخشفة : الحركة ، والصوت ليس بالشديد .

(٢) صحيح : أخرجه أحمد ، والترمذي ، والطبراني في الكبير ، وأبو نعيم في الحلية ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي .

(٣) إسناده قوي : أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ١٥٠، والذهبي في السير ١/ ٣٥٣، وقوَّى إسناده الذهبي .

وآخران، فأنزل الله: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربَّهم بالغداة والعشيِّ يُريدون وجهه ﴾ [الأنعام : ٥٢-٥٣] »[١] .

قال سعيد بن عبد العزيز : لَمَّا احتُضر بلال قال : غدًا نلقى الأحبَّة مُحمدًا وحزْبه ، قال : تقول امرأته : واويلاه ! فقال : وافرحاه[٢] .

أبو اليقظان عمَّار بن ياسر ، الطيِّب المطيَّب ، مولى بني مخزوم :

كان رضي الله عنه يُعذَّب حتى لا يدري ما يقول . فلله دَرُّه كم ثبت على دينه !!

عن أبي الزبير أن النبي ﷺ مرَّ بآل عمَّار وهم يُعذَّبون ، فقال لهم : «أبشِرُوا آل عمَّار ، فإن موعدكم الجنة »[٣] .

وقال رسول الله ﷺ : « مُلِئ عمَّارٌ إيمانًا إلى مُشاشه »[٤] .

وقال أبو الدرداء لعلقمة : « ممَّن أنت ؟ قال : قلتُ : من أهل الكوفة . قال : أو ليس عندكم صاحب النَّعْليْن والوساد والمِطهرة ؟ أفيكم الذي أجاره الله من الشيطان على لسان نبيِّه ﷺ ... »[٥] . والمراد به عمَّار ، فقد قال رسول الله ﷺ : « ويح عمَّار ! يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار » .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « ما خُيِّر عمَّارٌ بين أمريْن إلا اختار أرشدَهما »[٦] .

---

(١) أخرجه مسلم،والطبري في التفسير،وابن ماجه .

(٢) سير أعلام النبلاء ١ / ٣٥٩ .

(٣) صحيح بشواهده: أخرجه ابن سعد في الطبقات، والحاكم، وعنه البيهقي في الدلائل، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وللحديث شواهد يرتقي بها للصحة.

(٤) صحيح : أخرجه النسائي والحاكم ، وأحمد في فضائل الصحابة ، وابن أبي شيبة في المصنَّف .

(٥) جزء من حديث رواه البخاري والنسائي في فضائل الصحابة .

(٦) صحيح : أخرجه الترمذي وابن ماجه وأحمد،والنسائي في فضائل الصحابة .

وأيُّ هِمَّة أعلى من هِمَّة من تشتاق إليه الجنة !!

عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الجنة لتشتاقُ إلى ثلاثة : عليٍّ وعمَّار وسلمان »[١] .

وعن علي رضي الله عنه قال : استأذن عمَّار على النبي ﷺ ، فقال : « مَنْ هذا ؟ » قال : عمَّار . قال : « مرحبًا بالطَّيِّب المُطيَّب »[٢] .

فرضي الله عمَّن قال فيه النبي ﷺ : « عمَّار ما عُرض عليه أمران إلَّا اختار الأرشد منهما »[٣] .

المقداد بن الأسود البطل،فارس بدر،وصاحب رسول الله ﷺ :

المقداد بن عمرو الكندي ، مولى الأسود بن عبد يغوث الزهريّ .

قال عبد الله بن مسعود : « لقد شهدتُ من المقداد مشهدًا ، لَأنْ أكون أنا صاحبه أحبُّ إليَّ مما على الأرض من شيء. قال: أتى النبيَّ ﷺ وكان رجلًا فارسًا، فقال : أبشرْ يا نبيَّ الله ، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﷺ : اذهبْ أنتَ وربُّك فقاتِلا إنا هاهنا قاعدون ، ولكن – والذي بعثك بالحقِّ – لنكوننَّ بين يديك وعن يمينك وعن شمالك ومن خلفك ، حتى يفتح الله عليك »[٤] .

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي ، وحسَّنه الترمذي، والألباني في صحيح الجامع رقم (١٥٩٤)، وتخريج المشكاة (٦٢٣٤).

(٢) إسناده قوي : أخرجه الترمذي ، وابن ماجه في المقدمة ، والحاكم في المستدرك وصحَّحه ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في الحلية، وقوَّى إسناده الشيخ شعيب الأرناؤوط في تخريج السير ١/٤١٣ .

(٣) صحيح : أخرجه أحمد والترمذي ، وابن ماجه في المقدِّمة ، وصحَّحه الحاكم ، ووافقه الذهبي ٣ / ٣٨٨ .

(٤) صحيح : رواه أحمد ، والبخاري مختصرًا ، وعزاه المزيُّ للنسائي ، وابن سعد ، وأخرجه الحاكم في المستدرك وقال : صحيح الإسناد . ووافقه الذهبي .

وعند أحمد: «فرأيتُ وجه رسول الله ﷺ يُشرق لذلك، وسرَّه ذلك». وذلك يوم بدر .

وعن أبي راشد الحُبراني قال : وافيتُ المقدادَ فارسَ رسول الله ﷺ بحمصَ على تابوت من توابيت الصيارفة ، قد أفضل عليها من عِظَمه ، يُريد الغزو ، فقلتُ له : قد أعذر الله إليك ، فقال : أبتْ علينا سورة البَحوث : ﴿ **انفروا خفافًا وثقالًا** ﴾ [التوبة : ٤١][(١)] .

صهيب الرومي، مولى عبد الله بن جدعان، الرابح في بيْعه، رضي الله عنه :

عن عائذ بن عمرو أن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذتْ سيوفُ الله من عدوِّ الله مأخذها . قال : فقال أبو بكر : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيِّدهمْ ؟ فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره ، فقال : « يا أبا بكر ، أغضبتَهم ! لئن كنتَ أغضبتَهم لقد أغضبتَ ربَّك » . فأتاهم أبو بكر ، فقال : يا إخوتاه ، أغضبتُكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك يا أُخَيَّ[(٢)] .

عن عكرمة قال : لَمَّا خرج صُهيب مُهاجرًا تبعه أهل مكة ، فنثل كنانته فأخرج منها أربعين سهمًا ، فقال : لا تصلون إليَّ حتى أضع في كلِّ رجُل منكم سهمًا ، ثم أصير بعدُ إلى السيف فتعلمون أني رجُل ، وقد خلفتُ بمكة قينتيْن ، فهُما لكم .

وعن أنس : « ونزلتْ على النبي ﷺ : ﴿ **ومن الناس مَنْ يشري نفسه ابتغاءَ مرضات الله** .. ﴾ الآية ، فلما رآه النبي ﷺ قال : « أبا يحيى ، ربح البيع » . قال : وتلا عليه الآية »[(٣)] .

---

(١) صحيح : أخرجه الحاكم ، وأبو نعيم في الحلية ، وابن سعد ، والذهبي في السير ٣٨٨/١.وسورة البَحوث : هي التوبة ، سُمِّيت بذلك ؛ لما فيها من البحث عن المنافقين .

(٢) رواه مسلم وأحمد ، والنسائيُ في فضائل الصحابة .

(٣) صحيح : رواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرط مسلم .

قال صهيب رضي الله عنه : « لم يشهد رسول الله ﷺ مشهدًا قطُّ إلا كنتُ حاضرَه ، ولم يُبايع بيعةً قطُّ إلا كنتُ حاضرها ، ولم يسرْ سريَّةً قطُّ إلا كنتُ حاضرها ، ولا غزا غزاةً قطُّ إلا كنتُ فيها عن يمينه أو شماله ، وما خافوا أمامهم قطُّ إلا كنتُ أمامهم ، ولا ما وراءهم إلا كنت وراءهم ، وما جعلتُ رسول الله ﷺ بيني وبين العدوِّ قطُّ حتى تُوفِّي »[(١)] .

فرضي الله عن صُهيب الذي « لما مات عمر أوصى أن يُصلِّي عليه ، وأن يُصلِّي بالناس إلى أن يجتمع المسلمون على إمام »[(٢)] .

سالم مولى أبي حذيفة ، الذي حمد رسولُ الله ﷺ ربَّهُ أنْ جعَلَ في أُمَّته مِثْلَهُ :

كان رضي الله عنه من السابقين الأوَّلين البدريِّين المُقرَّبين العالِمين .

عن ابن عمر قال : « لمَّا قدم المهاجرون الأوَّلون العُصبة - موضعٌ بقباء- قبل مقدم رسول الله ﷺ كان يؤُمُّهم سالمٌ مولى أبي حذيفة وكان أكثرَهم قرآنا »[(٣)] . وفي رواية أخرى للبخاري:« فأمَّهم سالمٌ مولىً لأبي حذيفة ؛ لأنه كان أكثرهم قرآنا ، فيهم عمر ، وأبو سلمة بن عبد الأسد » .

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال : سمعتُ النبي ﷺ يقول : « استقرئوا القرآن من أربعة : من ابن مسعود ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وأُبيٍّ ، ومعاذ بن جبل »[(٤)] .

وعن عائشة زوج النبي ﷺ قالت : أبطأتُ على عهد رسول الله ﷺ ليلةً بعد العشاء ، ثم جئت ، فقال : « أين كنتِ ؟ » قلتُ : كنت أستمعُ قراءةَ رجُل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت : فقام وقمتُ

(١،٢) الإصابة لابن حجر ٢ / ١٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري وأبو داود ، وابن سعد في الطبقات ، وأبو نعيم في الحلية .

(٤) أخرجه البخاري،ومسلم،والترمذي وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأحمد ، والنسائي في الفضائل .

معه حتى استمع له ، ثم التفت إليَّ ، فقال : « هذا سالمٌ مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أُمَّتي مثل هذا »[(١)] .

وفي « سير أعلام النبلاء » : عن عائشة قالت : استبطأني رسولُ الله ذات ليلةٍ، فقال: «ما حبسكِ ؟» قلتُ: إنَّ في المسجد لأحسنَ مَنْ سمعتُ صوتًا بالقرآن . فأخذ رداءه ، وخرج يسمعه ، فإذا هو سالمٌ مولى أبي حذيفة ، فقال : « الحمد لله الذي جعل في أُمتي مثلك »[(٢)] .

أيُّ تاجٍ وأيُّ فخارٍ يضعه رسول الله ﷺ على هام ذلكم الصحابي القانت ، ثم انظر إلى تمنِّي عمر رجالًا مثل سالم !!

عن عمر رضي الله عنه أنه قال لأصحابه : تمنُّوا . فقال بعضهم : أتمنَّى لو أن هذه الدار مملوءةٌ ذهبًا أنفقه في سبيل الله وأتصدَّقُ . وقال رجل : أتمنَّى لو أنها مملوءةٌ زبرجدًا وجوهرًا أُنفقه في سبيل الله وأتصدَّق . ثم قال عمر : تمنُّوا فقالوا : ما ندري يا أمير المؤمنين . فقال عمر : أتمنَّى لو أنها مملوءة رجالًا مثل أبي عبيدة بن الجراح ، ومعاذ بن جبل ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وحذيفة بن اليمان[(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر في « الإصابة » (٢/٧) : « روى ابن المبارك فيه أيضًا أن لواء المهاجرين كان مع سالم - أي في اليمامة - فقيل له في ذلك ، فقال : بئس حامل القرآن أنا - يعني إنْ فررتُ - فقُطعت يمينُه ، فأخذه بيساره

---

(١) رجاله ثقات : أخرجه ابن ماجه، وأبو نعيم في الحلية ، والحاكم في المستدرك ، وقال : صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه .

(٢) قال الذهبي في السير (١٦٨/١) : إسنادٌ جيِّد . وقال الشيخ شُعيب الأرناؤوط : إسناده صحيح . وأخرجه أحمد ، وأبو نعيم ، والحاكم وصحَّحه ووافقه الذهبي ، ورواه ابن الأثير في « أُسْد الغابة » ، والحافظ في « الإصابة » .

(٣) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك ٢٢٦/٣، وقال الذهبي : على شرط البخاري ومسلم .

فقُطعتْ ، فاعتنقه إلى أن صُرِع ، فقال لأصحابه : ما فعل أبو حذيفة ؟ يعني مولاه . قيل : قتل . قال : فأضجِعوني بجنبه .

رضي الله عن سالم القانت البطل .. في معركة اليمامة لما انكشف المسلمون ، قال : ما هكذا كنا نفعل مع رسول الله ﷺ .. وتكفَّن بكفنه وتحنَّط بحنوطه ، وحفر لنفسه حفرةً ، فقام فيها ، وقُتل وهو يتلو قول الله عز وجل : ﴿ **وكأيِّن من نبيٍّ قاتل معه ربِّيُّون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعُفوا وما استكانوا والله يُحبُّ الصابرين**﴾ [آل عمران: ١٤٦].

عامر بن فهيرة رضي الله عنه ؛ المرفوع جسدُه ، المشروع رشده ، المنزوع حسده ، مولى أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

سبق إلى الدعوة ، وخدم الرسول ﷺ وصحبه في الهجرة .

استطاب الهُلك فيما يخطب من المُلك :

« عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن مع رسول الله ﷺ حين هاجر من مكة إلى المدينة إلا أبو بكر وعامر بن فهيرة ، ورجل من بني الديل دليلهم .

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت : خرج رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه ، فمكثا في الغار ثلاث ليال ، وكان يروح عليهما عامر ابن فهيرة مولى أبي بكر يرعى غنمًا لأبي بكر ويُدلج من عندهما فيصبح من الرعاة في مراعيها ، ويروح معهم ويتباطأ في المشي ، حتى إذا أظلم انصرف بغنمه إليهما ، فيظنُّ الرعاة أنه معهم .

قُتل يوم بئر معونة ، وفيه قال عامر بن الطفيل : لقد رأيتُه بعد ما قُتِل رُفع إلى السماء ، حتى إني لَأنظرُ إلى السماء بينه وبين الأرض .

وقال الزهري : بلغني أنهم التمسوا جسد عامر بن فهيرة فلم يقدروا

عليه »[١] .

خبَّاب بن الأرتّ رضي الله عنه :

مولى أمّ أنمار الخزاعية، كان من السابقين الأوَّلين البدريين ومن المستضعفين. أسلم سادس ستة ، وهو أوَّل مَنْ أظهر إسلامه ، وعُذِّب عذابًا شديدًا لأجل ذلك .

لمَّا رجع عليّ من صفّين مرَّ بقبر خبَّاب فقال : رحم الله خبَّابًا ! أسلم راغبًا ، وهاجر طائعًا ، وعاش مجاهدًا ، وابتُلي في جسمه أحوالًا ، ولن يُضيع الله أجْره[٢] .

لمَّا سُئل خبَّابٌ عمَّا لقي من المشركين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، انظر إلى ظهري . فنظر ، فقال : ما رأيتُ كاليوم . قال خبَّاب : لقد أُوقِدت لي نارٌ وسُحبتُ عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري[٣] .

سفينة مولى رسول الله ﷺ :

واسمه مهران ، رضي الله عنه .

عن سعيد بن جمهان ، قال : « سألتُ سفينة عن اسمه ، فقال : سمَّاني رسول الله ﷺ سفينة ، قلتُ : لِمَ سمَّاك سفينة ؟ قال : خرج رسول الله ﷺ ومعه أصحابه ، فثقل عليهم متاعهم ، فقال لي : « ابسط كساءك » . فبسطتُه فجعلوا فيه متاعهم ، ثم حمَّلوه عليَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « احملْ فإنما أنت سفينة » . فلو حملتُ يومئذٍ وِقر بعير أو بعيرين أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة ؛ ما ثَقُل عليَّ »[٤] .

---

(١) الحلية ١/١٠٩ - ١١٠ .

(٢) الإصابة ١ / ٤١٦ .

(٣) الاستيعاب لابن عبد البر ١/٤٢٤ .

(٤) إسناده حسن : رواه أحمد وأبو نعيم والطبراني ، وصحَّحه الحاكم ووافقه الذهبي .

عن ابن المنكدر ، أن سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ الجيش بأرض الروم أو أُسِر ، فانطلق هاربًا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث ، أنا مولى رسول الله ﷺ ، كان من أمري كَيْت وكَيْت . فأقبل الأسد ، له بصبصةٌ ، حتى قام إلى جنبه ، كلما سمع صوتًا أهوى إليه ، ثم أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش ، ثم رجع الأسد[(١)] .

زَيْدُ بن أسلمَ العدوي ؛ المولى العمري العدوي :

الإمام الحُجَّة القدوة أبو عبد الله وأبو أسامة العمري العدوي .

كان له حلقة للعلم في مسجد رسول الله ﷺ ؛ قال أبو حازم الأعرج : لقد رأيتنا في مجلس زيد بن أسلم أربعين فقيهًا ، أدنى خصلة فينا : التواسي بما في أيدينا ، وما رأيتُ في مجلسه متماريَيْن ولا متنازعَيْن في حديث لا ينفعنا . وكان أبو حازم يقول : لا أراني الله يومَ زيد بن أسْلَمَ ؛ إنه لم يبقَ أحدٌ أرضى لديني ونفْسي منه[(٢)] .

« وروى البخاري في « تاريخه » : أن علي بن الحسين كان يجلس إلى زيد بن أسلم ويتخطَّى مجلس قومه ، فقال له نافع بن جُبير بن مُطعم : تتخطَّى مجالس قومك إلى عبد عمر بن الخطاب ؟ فقال عليٌّ : إنما يجلس الرجل إلى مَن ينفعه في دينه » .

« وأشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم من علماء المدينة : ابنُه عبد الرحمن بن زيد ، ومالك بن أنس إمام دار الهجرة »[(٣)] .

---

(١) صحيح : رواه البغوي في شرح السنة ، ورواه الحاكم بنحوه وقال : صحيح على شرط مسلم . ووافقه الذهبي ، وصحَّحه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح ٣/ ١٦٧٦، رقم ٥٩٤٩ .

(٢) السير ٥/٣١٦ .

(٣) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/١١٨-١١٩ ، مكتبة وهبة .

نافع مولى ابن عمر :

الإمام ، المفتي ، الثَّبْت ، عالِم المدينة ؛ مولى ابن عمر وراويتُه .

قال عُبيد الله بن عمر : بعَثَ عمرُ بن عبد العزيز نافعًا مولى ابن عمر إلى أهل مصر يعلِّمهم السُّنَن .

قال نافع : دخلتُ مع مولاي على عبد الله بن جعفر ، فأعطاه فيَّ اثني عشر ألفًا فأبى وأعتقني ، أعتقه الله .

سافر نافع مع ابن عمر بضعًا وثلاثين حَجَّة وعُمرة .

قال مالك بن أنس : كنتُ آتي نافعًا وأنا حدث السن ، ومعي غلامٌ لي ، فيقعد ويحدِّثني ، وكان صغير النفْس ، وكان في حياة سالم لا يُفتي شيئًا . ولمَّا احتضر بكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرتُ سعدًا وضغْطة القبر[1] .

الإمام مجاهد بن جبْر شيخ القرَّاء والمفسِّرين :

مولى السائب بن أبي السائب المخزومي .

روى عن ابن عباس فأكثر وأطاب ، وعنه أخذ القرآن والتفسير والفقه .

قال الفضل بن ميمون : سمعتُ مجاهدًا يقول : عرضتُ القرآنَ على ابن عباس ثلاثين عرْضَةً .

وقال مجاهد : عرضتُ القرآن ثلاث عرضاتٍ على ابن عباس ؛ أَقِفُه عند كلِّ آية ، أسألُه : فيمَ نزلتْ ؟ وكيف كانت ؟

وقال سفيان الثوري : خذوا التفسير من أربعة : مجاهد ، وسعيد بن جُبير ، وعكرمة ، والضحَّاك .

وقال سلَمة بن كُهيل : ما رأيتُ أحدًا يريد بهذا العلم وجْهَ الله ، إلا هؤلاء الثلاثة : عطاء ، ومجاهد ، وطاووس .

---

(١) السير ٥/٩٥ - ١٠١ .

وقال الأعمش: كان مجاهد كأنه حمَّال؛ فإذا نطق خرج من فِيهِ اللُّؤْلؤ، وكان ابن عمر ربما أخذَ له بالرِّكاب. ومات رحمه الله وهو ساجد[١].

سليمان بن يَسَار : عالم المدينة ومفْتيها وأحَدُ فقهائها السَّبْعة :

مولى أمِّ المؤمنين ميمونة الهلاليَّة .

قال الذهبي : « كان من أوعية العلم بحيث إن بعضهم قد فضله على سعيد بن المسيِّب .

عن قتادة قال : قدمتُ المدينة فسألتُ عن أعْلم أهلها بالطلاق ، فقيل : سليمان بن يسار .

وعن أبي الزِّناد قال : كان سليمان بن يسار يصوم الدهر ، وكان أخوه عطاء يصوم يومًا ويُفطر يومًا .

وقال أبو الزناد : كان ممَّن أدركت من فقهاء المدينة وعلمائها ، ممن يُرضىٰ ويُنتهى إلى قولهم : سعيد بن المسيب ، وعروة ، والقاسم ، وأبو بكر ابن عبد الرحمن ، وخارجة بن زيد ، وعبيد الله بن عبد الله بن عُتبة ، وسليمان ابن يسار ، في مشيخةٍ أجِلَّةٍ سواهم من نظرائهم ؛ أهل فقه وصلاح وفضْل .

وعن عبد الله بن يزيد الهذلي قال : سمعتُ السائل يأتي سعيد بن المسيب ، فيقول : اذهبْ إلى سليمان بن يسار ، فإنه أعلمُ مَن بقي اليوم »[٢] .

الإمام سعيد بن جُبير : قتَله الحجَّاجُ وما في الأرض رجل إلّا وهو محتاج إلى علمه :

الإمام الحافظ المقرئ ، المفسِّر الشهيد أبو محمد الأسدي الوالبي ، مولاهم الكوفي.قال خصيف : « كان من أعلم التابعين بالطلاق : سعيد بن المسيب، وبالحجِّ: عطاء، وبالحلال والحرام: طاووس، وبالتفسير: أبو الحجاج

(١) السير ٤/٤٤٩ - ٤٥٥ .
(٢) السير ٤/٤٤٤ - ٤٤٨ .

مجاهد بن جبر ، وأجمعهم لذلك كلِّه : سعيد بن جبير »[١] .

وعن جعفر بن أبي المغيرة : كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، يقول : أليس فيكم ابن أم الدَّهْماء ؟! يعني سعيد بن جبير[٢] .

وعن عمرو بن ميمون ، عن أبيه قال : لقد مات سعيد بن جبير وما على ظهر الأرض أحدٌ إلا وهو محتاج إلى علمه .

وعن أشعث بن إسحاق قال: كان يُقال: سعيد بن جُبير جِهبذُ العلماء.

وقال القاسم الأعرج : كان سعيد بن جبير يبكي بالليل حتى عَمِش .

قال سعيد : لدغتْني عقرب فأقسمتْ عليَّ أمي أن أسْتَرقِي ، فأعطيتُ الراقي يدي التي لم تُلدَغ ، وكرهتُ أن أُحَنِّثها .

قال سعيد : ربما أتيتُ ابنَ عباس ، فكتبتُ في صحيفتي حتى أملأَها ، وكتبتُ في نعلي حتى أملأها ، وكتبتُ في كفِّي .

وقال سعيد بن جبير : لو فارق ذكْرُ الموت قلبي ، لَخشيتُ أنْ يفسَد عليَّ قلبي .

وقال رحمه الله : ما مضت عليَّ ليلتان منذ قُتِل الحسين إلا أقرأ فيهما القرآن ، إلا مريضًا أو مسافرًا .

وعن هلال بن يساف قال : دخل سعيد بن جبير الكعبة فقرأ القرآن في ركعة .

وعن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يختم القرآن في كلِّ ليلتيْن .

وكان رحمه الله لا يدع أحدًا يغتاب عنده .

ولمَّا أخذ الحجَّاج سعيد بن جبير قال: ما أراني إلّا مقتولًا، وسأخبركم:

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١ / ٣٦٥ .

(٢) الحلية ٤ / ٢٧٣ ، وابن سعد ٢٥٧/٦ .

إني كنتُ أنا وصاحبان لي دَعَوْنا حين وجدنا حلاوة الدعاء ، ثم سألنا الله الشهادة ، فكِلا صاحبيَّ رُزِقَهَا ، وأنا أنتظرها . قال : فكأنَّه رأىٰ أنَّ الإجابة عند حلاوة الدعاء .

قال الذهبي : ولمَّا علم من فضل الشهادة ؛ ثبت للقتل ولم يَكترث ، ولا عامَل عدوَّه بالتقِيَّة المباحة له . رحمه الله تعالى .

قال علي بن المديني : ليس في أصحاب ابن عباس مِثلُ سعيد بن جبير . قيل : ولا طاووس ؟ قال : ولا طاووس ولا أحد[1] .

عِكْرِمة موْلىٰ ابن عبَّاسٍ ؛ الحافِظ المفسِّر :

البربري الأصل .

قال رحمه الله : طلبتُ العلم أربعين سنة ، وكنتُ أُفتي بالباب وابنُ عباس في الدار .

قال عبد الصمد بن معقل : لمَّا قدِم عكرمة الجند ؛ أهدىٰ له طاووس نجبًا بستين دينارًا ، فقيل لطاووس : ما يصنع هذا العبد بنجبٍ بستين دينارًا ؟ قال : أتروني لا أشتري عِلْم ابن عباس بستين دينارًا لعبد الله بن طاووس ؟! .

وقال يحيى بن معين : مات ابن عباس ، وعكرمة عبدٌ لم يُعتَق ، فباعه علي بن عبد الله ، فقيل له : تبيع عِلْمَ أبيك ؟! فاستردَّه .

عن عمرو بن دينار قال : دفع إليَّ جابرُ بن زيد مسائل ، أسأُل عكرمة ، وجعل يقول : هذا عكرمة مولى ابن عباس ، هذا البحرُ فسَلُوه .

وقيل لسعيد بن جبير : تعلمُ أحدًا أعلمَ منك ؟ قال : نعم ؛ عكرمة .

« قال المروزي : لقد سألتُ إسحاق بن راهويه عن الاحتجاج بحديث عكرمة ، فقال : « عكرمة عندنا إمام الدنيا » ... تعجَّب من سؤالي إياه .

وقال يحيى بن أيوب المصري : سألني ابن جريج : هل كتبتمْ عن عكرمة ؟

(١) السير ٤/٣٢١ - ٣٤١ .

فقلتُ : لا . قال : فاتَكُمْ ثُلُثا العلم »[١] .

وقال الشعبي : ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة .

قال عكرمة : قرأ ابن عباس هذه الآية : ﴿ **لِمَ تعِظون قومًا الله مُهلِكُهُمْ أو معذِّبهم عذابًا شديدًا** ﴾ [الأعراف : ١٦٤] . قال ابن عباس : لم أدْرِ : أنجا القومُ أمْ هلكوا ؟ قال : فما زلتُ أُبيِّن له أبصِّره ، حتى عرف أنهم قد نجَوْا . قال:فكساني حُلَّة .

وقال حبيب بن أبي ثابت : اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلُهم أبدًا : عطاء ، وطاووس ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وعكرمة ، فأقبل مجاهد وسعيد يُلقيان على عكرمة التفسير ، فلم يسألاه عن آية إلَّا فسَّرها لهما ، فلما نفد ما عندهما ، جعل يقول : أُنزلت آية كذا في كذا ، وآية كذا في كذا .

وقال عكرمة - رحمه الله -: إني لأخرج إلى السوق ، فأسمع الرجل يتكلَّم بالكلمة ، فينفتح لي خمسون بابًا من العلم .

فرحم الله عكرمة .. لقد غرسَ ابن عباس فيه ما غرس ، فأينع ثمره !!

قال عكرمة: كان ابن عباس يضع في رجلي الكَبْل[٢] على تعليم القرآن والسنن.

وسُئل أبو حاتم عن عكرمة وسعيد بن جبير : أيهما أعلم بالتفسير ؟ فقال : أصحابُ ابن عباس عيالٌ على عكرمة[٣] .

عالِمُ اليمن وسيِّدها ، الفقيهُ القدوة : طاووس بن كيسان :

مولى بَحِير بن رَيْسان الحِمْيَري .

قال فيه ابن عباس : إني لَأظنُّ طاووسًا من أهل الجنة .

وقال مجاهد لطاووس : رأيتُك يا أبا عبد الرحمن تُصلي في الكعبة ، والنبي

(١) التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ١/١١٢، ١١٣ .
(٢) الكبل : القيْد .
(٣) انظر ترجمته في السير ٥/١٢- ٣٦ .

ﷺ على بابها يقول لك : اكشفْ قِناعك ، وبيِّنْ قراءتك . قال طاووس : اسكتْ ؛ لا يسمع هذا منك أحدٌ . قال : ثم خُيّل إليَّ أنه انبسط في الكلام ؛ يعني فرحًا بالمنام .

قال ابن حبان : كان من عُبَّاد اليمن ، ومن سادات التابعين ، مستجابَ الدعوة ، حجَّ أربعين حجَّة .

وعن ابن أبي روّاد قال : رأيتُ طاووسًا وأصحابه إذا صلّوا العصر ، استقبلوا القِبْلة ولم يكلِّموا أحدًا ، وابتهلوا بالدعاء .

وعن داود بن إبراهيم أن الأسدَ حبَس ليلة الناس في طريق الحجِّ ، فدقَّ الناس بعضهم بعضًا ، فلمَّا كان السَّحَر ذهب عنهم ، فنزلوا وناموا ، وقام طاووس يصلي ، فقال له رجل : ألا تنام ؟ فقال: وهل ينام أحدٌ السَّحَرَ ؟!

وقال أبو عاصم النبيل : زعم لي سفيان قال : جاء ابنٌ لسليمان بن عبد الملك ، فجلس إلى جنْب طاووس ، فلم يلتفت إليه ، فقيل له : جلس إليك ابن أمير المؤمنين . فلمْ تلتفت إليه !! قال : أردتُ أنْ يعلمَ أنَّ لله عبادًا يزهدون فيما في يديْه .

قال ابن عيينة : حلَف لنا إبراهيم بن ميسرة وهو مستقبل الكعبة : وربِّ هذه البنْيَة : ما رأيتُ أحدًا الشريفُ والوضيعُ عنده بمنزلةٍ إلّا طاووسًا .

وعن ابن شوذب قال: شهدتُ جنازة طاووس بمكة سنة خمس ومائة، فجعلوا يقولون : رحم الله أبا عبد الرحمٰن ؛ حجَّ أربعين حجَّة[1] .

شيخ الإسلام عطاء بن أبي رباح ، مولاهم القرشي ، مفتي الحرم :

قال ابن عباس لأهل مكة : يا أهل مكة ، تجتمعون عليَّ وعندكم عطاء !!

وقال أبو جعفر الباقر : ما بقي على ظهر الأرض أحدٌ أعلمَ بمناسك الحجِّ مِن عطاء .

---

(١) انظر ترجمته في السير ٥/٣٨-٤٩ .

وقال عنه : خذوا من عطاء ما استطعتم .

وقد حجَّ عطاء زيادة على سبعين حَجَّة .

وعن إسماعيل بن أمية قال : كان عطاء يُطيل الصمت ، فإذا تكلَّم يُخيَّل إليَّ أنه يُؤَيَّد .

وقال الأوزاعي : مات عطاء بن أبي رباح - يوم مات - وهو أرضىٰ أهل الأرض عند الناس .

قال ابن جريج : كان المسجدُ فراشَ عطاء عشرين سنة ، وكان من أحسن الناس صلاة .

يدخل على عبد الملك بن مروان ، فيعظه ويأمره وينهاه ، فلمَّا نهض وقام ، قبض عليه عبد الملك وقال : يا أبا محمد ، إنما سألتَنا حوائج غيرك وقد قضيناها ، فما حاجتُك ؟ قال : ما لي إلى مخلوق حاجة . ثم خرج ، فقال عبد الملك : هٰذا - وأبيك - الشرف ، هذا - وأبيك - السُّؤْدد !!

نِعم والله، السؤدد والشرف ؛ مع أنَّ عطاء كان أسودَ ، أعورَ ، أفطسَ ، أشلَّ ، أعرَجَ ، ثم عَمِي !!

وعن ابن جريج قال : لزمت عطاء ثماني عشرة سنة ، وكان بعدما كبر وضعُف يقوم إلى الصلاة ، فيقرأ مائتي آية من البقرة وهو قائم ، لا يزول منه شيء ولا يتحرَّك .

قال عمر بن ذرٍّ : ما رأيتُ مثل عطاء بن أبي رباح ، وما رأيتُ عليه قميصًا قطُّ ، ولا رأيتُ عليه ثوبًا يساوي خمسة دراهم[(١)] .

الضحَّاك بن مزاحم الهلالي :

كان من أوعية العلم .

قال الثوري : كان الضحَّاك يعلِّم ولا يأخذ أجْرًا .

---

(١) السير ٥ / ٧٨ - ٨٧ .

وكان الضَّحَّاك رحمه الله يقول : حقٌّ على كلِّ من تعلَّم القرآن أن يكون فقيهًا . وتلا قول الله : ﴿ **كُونوا ربَّانيِّين بما كنتم تعلِّمون الكتاب** ﴾ [آل عمران : ٧٩] .

وقال رحمه الله : كنت ابن ثمانين سنة جَلْدًا غزّاءً .

وقال رحمه الله : أدركتُهم وما يتعلمون إلّا الوَرَع . وكان إذا أمسىٰ بكى وقال : لا أدري ما صعد اليوم من عملي .

مكحول سيِّد أهل الشام وإمامُهم :

مولىٰ امرأة هذليَّة ، وكان نوبيًّا .

قال مكحول : طفتُ الأرض كلها في طلَب العلم .

وقال الزهري:العلماء أربعة: سعيد بن المسيِّب بالمدينة، والشعبيُّ بالكوفة، والحسن بالبصرة ، ومكحول بالشام .

وقال سعيد بن عبد العزيز : مكحول أفقه أهل الشام ، لم يكن في زمنِ مكحول أبصر بالفُتيا منه .

ميمون بن مهران ؛ عالِمُ الجزيرة ومفتيها ، الإمام الحجَّة :

أبو أيوب الجزري الرَّقي.. أعتقتْه امرأة من بني نصر بن معاوية بالكوفة.

قال ميمون بن مهران : كنت عند عمر بن عبد العزيز ، فلما قمتُ قال : إذا ذهب هذا وضُرَبَاؤه ، صار الناس بعدَه رَجَاجٌ[1] .

قال ميمون : ودِدتُ أنَّ أصبعي قُطِعتْ من هاهنا ، وأني لم أَلِ لعمر ابن عبد العزيز ولا لغيره .

وقال أيضًا : ودِدتُ أن إحدى عينيَّ ذهبت ، وأنِّي لم أَلِ عملًا قطُّ لا خير في العمل لعمر بن عبد العزيز ولا لغيره . قال الذهبي : كان وَلِي خَراجَ الجزيرة وقضاءها ، وكان من العابدين .

---

(١) الناس رَجَاج بعد هذا الشيخ : أي هم رَعاع الناس وجُهَّالهم .

وعن الحسن بن حبيب قال: رأيتُ على ميمون جُبَّة صوفٍ تحت ثيابه، فقلتُ له : ما هذا ؟ قال : نعم ، فلا تُخبرْ به أحدًا .

وهكذا تكون الهمة في إخفاء الزهد !!

قال الإمام أبو الحسن الميموني : قال لي أحمد بن حنبل : إني لأُشبِّه ورَع جَدّك بورَع ابن سيرين .

قال أبو المليح : جاءَ رجل إلى ميمون بن مهران يخطب ابنته ، فقال : لا أرضاها لك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنها تحبُّ الحُلِيّ والحُلَل . قال : فعندي من هذا ما تريد . قال : الآن لا أرضاك لها .

وقال رحمه الله : إذا أتى رجل بابَ سلطانٍ ، فاحتجِبْ عنه ، فلْيأْتِ بُيوت الرحمٰن ؛ فإنها مُفتَّحة ، فلْيصلِّ ركعتيْن ، ولْيسأْلْ حاجته .

وقال رحمه الله : ما نال رجل مِن جسيم الخير - نبي ولا غيره - إلَّا بالصَّبْر .

الإمام الحُجَّة مفتي الديار المصرية يزيد بن أبي حبيب :

مولاهم المصري .. أبو رجاء الأزدي .. مولًى لبني عامر بني لؤي .

« قيل : كان أبوه سُويد مولى امرأةٍ مولاةٍ لبني حسل ، وأُمُّه مولاة لتُجيب وكان من جِلَّة العلماء العاملين ، ارتفع بالتقوى ، مع كونه مولًى أسود .

كان أول مَن أظهر العلم بمصر ، والكلام في الحلال والحرام ومسائل .

قال الليث بن سعد : يزيد بن أبي حبيب سيِّدنا وعالمنا .

عن إبراهيم بن عبد الله الكناني : اجتمع ناس فيهم يزيد بن أبي حبيب وهم يريدون أن يعودوا مريضًا، فتدافعوا الاستئذان على المريض، فقال يزيد: قد علمتَ أنَّ الضأْنَ والمِعزىٰ إذا اجتمعت، تقدَّمت المعزى، فتقدَّمْ فاستأذِنْ»[(١)] .

الإمام المقرئ المفسِّر أبو العالية الرياحي :

كان مولًى لامرأةٍ من بني رياح بن يربوع .

---

(١) السير ٦ / ٣١ - ٣٢ .

قال أبو العالية : قرأتُ القرآنَ على عمر ثلاث مرار .

قال أبو بكر بن أبي داود : ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقرآن من أبي العالية .

قال أبو العالية : كنّا عبيدًا مملوكين ؛ منا مَن يؤدي الضرائب ، ومنا من يخدم أهله ، فكنا نختم كلَّ ليلة ، فشقَّ علينا حتى شكا بعضُنا إلى بعضٍ ، فلقينا أصحاب رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختم كلَّ جمعة ، فصلَّينا ونمنا ولم يشقَّ علينا .

وقال رحمه الله : كنتُ أرحلُ إلى الرجل مسيرة أيام لِأسمع منه ، فأتفقد صلاته ، فإن وجدتُه يُحسِنُها أقمتُ عليه ، وإن أجده يضيِّعها رحلتُ ولم أسمع منه ، وقلتُ : هو لِمَا سواها أضيع .

وكان رحمه الله إذا جلس إليه أكثر من أربعة ، قام فتركهم .

وقال رحمه الله : تعلَّمت الكتابة والقرآن فما شعر بي أهلي ، ولا رُئي في ثوبي مداد قطُّ .

وكان رحمه الله أول مَنْ أَذَّن بـ « ما وراء النهر » .

وقال رحمه الله: ما تركتُ من مال فثُلثُه في سبيل الله، وثُلثه في أهل بيت النبي ﷺ ، وثلثُه في الفقراء[١] .

الحسَن البصري شيْخُ أهل البَصْرة وسيِّدُهم :

مولى زيد بن ثابت الأنصاري ، وأمه مولاةٌ لأُمِّ سَلَمةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها .

قال الحسن : « كان أبي وأمي لرجل من بني النجَّار ، فتزوَّج امرأةً من بني سَلَمة ، فساق أبي وأمي في مهرها فأعتقتنا السَّلَمِيَّة »[٢] .

---

(١) السير ٤/٢٠٧- ٢١٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦ .

كان رحمه الله سيِّدَ أهل زمانه عِلْمًا وعمَلًا . وكان كثير الجهاد ، من الشجعان الموصوفين .

قال محمد بن سعد : كان الحسن رحمه الله جامعًا ، عالمًا ، رفيعًا ، فقيهًا ، ثقة ، مأمونًا ، عابدًا ، ناسكًا ، كثير العلم ، فصيحًا ، جميلًا .

وعن أبي بُردة قال: ما رأيتُ أحدًا أشبَهَ بأصحاب محمد ﷺ منه(١) .

وقال أبو قتادة : الزموا هذا الشيخ ، فما رأيتُ أحدًا أشبه رأيًا بعمر منه - يعني الحسن - .

وقال أنس بن مالك : سَلُوا الحسَن ، فإنه حَفِظ ونسِينا .

وقال مطر الوراق : لمَّا ظهر الحسن جاء كأنما كان في الآخرة ، فهو يُخبِر عمَّا عايَن(٢) .

قال أيوب السختياني : كان الرجل يجلس إلى الحسَن البصري ثلاثَ حِجَجٍ ، ما يسأله عن المسألة هيْبةً له .

قال الأشعث : ما لقيتُ أحدًا بعد الحسن إلَّا صغُر في عيني .

وقال قتادة : ما جمعتُ عِلمَ الحسن إلى أحدٍ من العلماء ، إلَّا وجدتُ له فضلًا عليه .

وقال : ما خلَتِ الأرض قطُّ من سبعة رهْطٍ ، بهم يُسقون ، وبهم يُدفع عنهم ، وإني لَأرجو أن يكون الحسَن أحدَ السبعة .

وقال حُميد ويونس : ما رأينا أحدًا أكمل مروءة من الحسن .

وقال عنه عطاء : ذاك إمامٌ ضخمٌ يُقتدىٰ به .

وقال يونس بن عُبيد: أمَّا أنا، فإني لم أرَ أحدًا أقرب قولًا من فعْلٍ؛من الحسن.

وقال الربيع بن أنس : اختلفتُ إلى الحسن عشر سنين ، أو ما شاء الله ،

---

(١) أخبار القضاة لوكيع ٢ / ٧ .
(٢) المعرفة والتاريخ للفسوي ٢ / ٤٨ .

فليسَ من يوم إلَّا أسمع منه ما لم أسمع قبل ذلك .

وقال يونس عن الحسن ، أنه كان من رؤوس العلماء في الفتن والدماء والفروج .

وقال عوف : ما رأيتُ رجلًا أعلمَ بطريقِ الجنة من الحسن .

وقال إبراهيم بن عيسى اليشكُري : ما رأيت أحدًا أطول حزنًا من الحسن ، ما رأيتُه إلَّا حسبتُه حديثَ عهدٍ بمصيبةٍ[1] .

رحم الله الحسن البصري سيد البكَّائين الذي ذهب بالحزن .. كان إذا قدم فكأنَّما قدِم من دفْنِ حميمٍ له ، وإذا جلس فكأنَّما هو أسيرٌ يستعدُّ لضرْب عنقه ، وإذا بكى فكأنَّ النار لم تُخلق إلّا له .

قال حجَّاج الأسود : تمنَّى رجلٌ فقال : ليتني بزهْدِ الحسَن ، ووَرَع ابن سيرين ، وعبادة عامر بن عبد قيس ، وفقه سعيد بن المسيِّب . وذكَر مطرّف ابن الشِّخِّير بشيءٍ، قال : فنظروا في ذلك ، فوجدوه كلَّه كاملًا في الحسن .

وقال علي بن زيد : رأيتُ سعيد بن المسيب وعروة والقاسم في آخرِين ؛ ما رأيتُ مثلَ الحسَن .

وقال أيوب السختياني : كان الحسَن يتكلَّم بكلام كأنَّه الدُّر ، فتكلَّم قوم من بعده بكلام يخرج من أفواههم كأنه القيْءُ .

وقال بكر بن عبد الله المزني : مَن سرَّه أن ينظر إلى أفْقَهِ مَن رأينا فلْينظرْ إلى الحسن .

وقال هشام بن حسَّان : كان الحسن أشجعَ أهل زمانه .

وقال جعفر بن سليمان : كان الحسن من أشدِّ الناس ، وكان المهلّبُ إذا قاتَل المشركين يُقدِّمُه .

وقال مطر : دخلنا على الحسَن نعوده ، فما كان في البيت شيءٌ؛ لا فِراش،

---

(١) الزهد لأحمد صـ ٢٥٩ .

ولا بساط ولا وسادة ولا حصير ، إلّا سرير مرمول[١] ، هو عليه .

قال الحسن : كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يُرىٰ ذلك في تخشُّعه وزهْده ولسانه وبصره .

وقال أيوب السختياني : لو رأيت الحسَن لَقلْتَ أنك لم تجالسْ فقيهًا قطُّ .

وكان إذا ذُكر الحسَن عند أبي جعفر الباقر ، قال : ذاك الذي يُشبه كلامُه كلامَ الأنبياء .

قال الحسن : المؤمن أحسن الناس عملًا ، وأشد الناس وَجَلًا ، فلو أنفق جبَلًا من مالٍ ما أمِنَ دُونَ أن يُعاين ، لا يزداد صلاحًا وبرًّا إلّا ازداد فرَقًا .

وقال رحمه الله : ضَحِك المؤمن غفلةٌ من قلبه .

رحم الله الحسن وأجزل مثوبته .

يُروىٰ عنه أنه أُغمي عليه ، ثم أفاق إفاقة فقال : لقد نبَّهتموني من جنَّاتٍ وعُيونٍ ومقامٍ كريم[٢] .

حبيب بن أبي ثابت ؛ فقيه الكوفة ، الإمام الحافظ :

القرشي ، الأَسْدي ، مولاهم .

قال أبو بكر بن عيَّاش : كان بالكوفة ثلاثة ليس لهم رابع : حبيب بن أبي ثابت ، والحَكم ، وحمَّاد . كانوا من أصحاب الفتيا ، ولم يكن أحدٌ بالكوفة إلا يذلُّ لحبيب .

قال سفيان : حَدَّثنا حبيب بن أبي ثابت ، وكان دِعامة .

وقال أبو يحيىٰ القتات : قدمتُ الطائف مع حبيب بن أبي ثابت ، فكأنما قدِم عليهم نبيٌّ .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : رأيتُ حبيب بن أبي ثابت ساجدًا فلو رأيته

(١) السرير المرمول : الذي نُسِج وجهُه بالسَّعف .

(٢) انظر ترجمة الحسن في السير ٤/٥٦٣ - ٥٨٧ .

قلتَ : ميِّت - يعني من طول السجود[1] -.

الإمام القدوة الحُجَّة يُونس بن عُبيد :

مولاهم البصري .

قال سلام بن أبي مطيع : ما كان يونس بأكثرهم صلاةً ولا صومًا ، ولكن لا والله ؛ ما حضرَ حقٌّ لله إلّا وهو متهيئٌ له .

وعن جارٍ ليُونس قال : ما رأيتُ أكثر استغفارًا من يونس ؛ كان يرفع طرْفه إلى السماء ويستغفر .

قال يونس رحمه الله : ليس شيء أعزَّ من شيْئيْن : درهم طيِّب ، ورجل يعمل على سُنَّة .

جاءت امرأةٌ يونسَ بن عبيد بجُبَّة خَزٍّ ، فقالت له : اشترِها . قال : بكم ؟ قالت : بخمسمائة . قال : هي خير من ذلك . قالت : بستمائة ، قال : هي خير من ذلك . فلم يزلْ حتى بلغتْ ألفًا .

وعن أبي عبد الرحمن المقرئ قال : نَشَرَ يونسُ بن عُبيد ثوبًا على رجل ، فسبّح رجُلٌ من جلسائه ، فقال : ارفعْ . أحسبه قال : ما وجدت موضع التسبيح إلّا هاهنا .

وكان رحمه الله يشتري الإبريْسم من البصرة فيبعث به إلى وكيله بالسُّوس ، وكان وكيلُه يبعثُ إليه بالخَزِّ ؛ فإنْ كتب وكيلُه إليه أنَّ المتاع عندهم زائد ؛ لم يشتر منهم أبدًا حتى يخبرهم أنَّ وكيله كتب إليه أنَّ المتاع عندهم زائد .

قال يونس رحمه الله: إني لَأعدُّ مائة خصلةٍ من خصال البر ، ما فيَّ منها خصلة واحدة .

وقال : لا تجد من البرِّ شيئًا واحدًا يتْبَعُه البر كلُّه غير اللِّسان .

وقيل: التقى يونس وأيوب، فلمَّا تفرَّقا قال أيوب: قبّح الله العيش بعدك[2].

---

(١) السير ٥/٢٨٨- ٢٩١ .

(٢) السير ٦/٢٨٨- ٢٩٤ .

زاذان :

مولاهم الكوفي ، أحدُ العلماء الكبار ، شهد خطبة عمر بـ « الجابية » .

قال زبيد : رأيتُ زاذان يصلِّي كأنَّه جِذْعٌ[١] .

طارقُ بن زِياد فاتِحُ الأندلس :

مَوْلى موسى بن نُصير ، وقد مرَّ ذِكْره الطَّيبُ في « عُلوّ همَّة القادة » ، وسيبقى اسم طارق يعطرُ التاريخ ، ويَشحذُ الهِمَمَ ، ويَصيح : نحن الموالي في عصر الرجال ، فكيف بساداتنا ؟! .

أنت تدري أيُّها الحيرانُ عنَّا   كيف فوْق الشمسِ أزمانًا حَلَلْنَا

زياد مَوْلى ابنِ عيَّاش ووعظُهُ لعمر بن عبد العزيز :

عن جُويرية بن أسماء قال : قدم زياد العبدي على عمر، فقال له عمر: يا زياد ، ألا ترى ما ابتُليتُ به من أمْرِ أمة محمد ﷺ ؟! قال : يا أمير المؤمنين ، لا تُعمِل نفْسَك في الوصف ، وأعمِلْ نفسك في المخرج ممَّا وقعتَ فيه ، فلو أنَّ كلَّ شعْرةٍ منك نطقتْ ؛ ما بلغتْ كُنْه ما أنت فيه . ثم قال زياد : يا أمير المؤمنين ، أخبِرْني عن رجل له خصْمٌ أَلَدُّ ما حاله ؟ قال: سيِّءُ الحال . قال : فإن كان خصميْن ألدَّيْن ؟ قال : ذلك أسوأ لحاله . قال : فإن كانوا ثلاثة ؟ قال: ذلك حين لا يهنؤه عيشٌ. قال: فوالله يا أمير المؤمنين ، ما أحدٌ من أمَّة محمدٍ ﷺ إلَّا وهو خَصْم لك . قال : فبكى عمر حتى تمَنَّيتُ أن لا أكون قلتُ له .

ودخل عليه مرّة في ليلةٍ شاتية وبين يديه كانون ، فقال له : والله ما ينفعك مَن دخل الجنة إذا دخلتَ النار ، ولا يضرّك من دخل النارَ إذا دخلتَ الجنة . قال : فلقد رأيتُه يبكي ، حتى أطفأ ذلك الجمرَ الذي على الكانون[٢] .

---

(١) السير ٤/٢٨٠- ٢٨١ .

(٢) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١٦٤ .

سالم مولى محمد بن كعْب القُرظيّ ووعظُهُ لعُمر :

قال يحيى الغسَّاني : كتب عمر بن عبد العزيز إلى محمد بن كعب ، يسأله أن يبيعَه غلامه سالما - وكان عابدًا خيِّرًا - فقال : إنِّي قد دبّرتُه . قال : فأزرنيه . قال : فأتاه سالم ، فقال عمر : إني قد ابتُليتُ بما ترىٰ ، وأنا والله أتخوَّف أن لا أنجو . فقال له سالم : إنْ كنتَ كما تقول فهذا نجاتكَ ، وإلَّا فهو الأمر الذي تخاف . فقال : يا سالم ، عِظْنا . قال : آدم ﷺ على خطيئةٍ واحدة أُخرِجَ من الجنة، وأنتم تعملون الخطايا ترجون تدخلون بها الجنة !! ثم سكت.

ولمَّا استُخلِف عمر ، دعا سالمًا ذات يوم فأتاه ، فقال له : يا سالم ، إني أخاف أن لا أنجو . قال : إنْ كنت تخاف فنِعِمَّا ، لكني أخاف عليك أن لا تخاف . قال سالم : إن الله أسكن عبدًا دارًا ، فأذنب فيها ذنبًا واحدًا فأخرجه من تلك الدار ، فنحن أصحاب ذنوبٍ كثيرة نريد أن نسكن تلك الدار!![1].

مُزاحِمٌ مولى عمر بن عبد العزيز، هو الذي دفعه إلى الزهد في الدنيا :

لمزاحم مولى عمر بن عبد العزيز جميلٌ وصنيعٌ ، يطوِّقُ به أعناقَ المسلمين ويُصبح به سيدهم ؛ إذ هو الذي أتى بعمر بن عبد العزيز إلى الزهد والتقشُّف ، فصنع منه المجدِّد لهذا الدين على رأس المائة الأولى .

« قال نوفل بن عمارة : قال عمر بن عبد العزيز : إنَّ أول من أيقظني لهذا الشأن مزاحم ؛ حبستُ رجلًا ، فجاوزتُ في حبْسه القَدْرَ الذي يجب عليه ، فكلمني في إطلاقه، فقلتُ: ما أنا بمُخرِجهِ حتى أَبْلُغَ في الحيْطة عليه بما هو أكثر ممَّا مرَّ عليه . فقال مزاحم : يا عمر بن عبد العزيز ، إني أحذِّرك ليلة تمخَّضُ بالقيامة ، في صبيحتها تقوم الساعة . يا عمر .. ولقد كدتُ أنسى اسمَكَ ؛ ممَّا أسمعُ: (قال الأمير. قال الأمير). فوالله- يُقسم عمر- ما هو إلا أن قال ذلك، فكأنما كُشف عن وجهي غطاءٌ ؛ فذكِّروا أنفسكُمْ رحمكم الله ؛ فإنَّ الذكرىٰ تنفع

---

(١) المصدر السابق صـ ١٦٥ .

المؤمنين »[١] .

عن ميمون بن مهران قال : « ما رأيتُ ثلاثة في بيتٍ خيرًا من عمر بن عبد العزيز وابنه عبد الملك ومولاه مُزاحم »[٢] .

« بدعةُ » المُحِبَّة وتوبةُ مولاها علىٰ يدها :

قال العلَّامة ابن قدامة في « كتاب التوابين » :

« وجدتُ في كتابٍ عن سريّ السقطي أنه قال : ضاقت عليَّ نفسي يومًا ، فقلتُ في نفسي : أَخرجُ إلى المارستان[٣] وأُنظر إلى المجانين فيه ، وأعتبر بأحوالهم . فخرجت إلى بعض المارستانات ، وإذا بامرأة مغلولةٍ يدُها إلى عنقها وعليها ثيابٌ حِسان وروائح عَطِرة ، وهي تُنشد :

أُعيذُكَ أنْ تغُلَّ يدي ... بغيرِ جريمةٍ سَبَقتْ
تَغُلُّ يدي إلى عُنقي ... وما خانتْ ولا سرقتْ
وبَينَ جَوانحي كبِدٌ ... أُحسُّ بها قدِ احترقتْ
وحقِّكَ يا مدىٰ أملي ... يمينًا بـرَّةً[٤] صدَقَتْ
فلو قطَّعتَها قِطَعًـا ... وحقِّك عنكَ لا نطقتْ

فقلتُ لصاحب المارستان : ما هذه ؟ فقال : مملوكة خُبِل عقلها فحُبستْ لتصلُح . فلمَّا سمِعتْ كلامه أنشدتْ :

معشرَ الناسِ ما جُننْتُ ولكنْ ... أنا سكرانةٌ وقلبي صاحـي
لِمْ غَللْتُم يدي ولم آت ذَنبًا ... غيرَ هتْكِي في حبِّه وافتضَاحي
أنـا مفتونـةٌ بحبِّ حبـيبٍ ... لستُ أبغي عن بابِهِ مِن براحِ

---

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي صـ ١٦٦ .
(٢) المصدر السابق صـ ٣٠١ .
(٣) المارستان : دار المرضىٰ .
(٤) أي : ماضية على الصدق .

فصلاحي الذي زعمتمْ فسادِي   وفسادي الذي زعمتم صلاحِي
ما علىٰ مَن أَحبَّ مولى الموالي   وارتضاه لنفسهِ من جُناحِ

قال سريّ: فسمعتُ كلامًا أبكاني، فلما رأتْ دموعي قالت: يا سريّ ، هذه دموعك على الصّفة، فكيف لو عرفتَه حقَّ المعرفة؟ فقلتُ: هذا أعجب ! من أين عرَفتني ؟ قالت : ما جهلتُ منذ عرفتُ أن أهل الدرجات يعرف بعضُهم بعضًا . فقلتُ : يا جارية ، أراكِ تذكرين المحبَّة ، فلمن تُحبِّين ؟ قالت : لمن تعرَّف إلينا بآلائه ، وتحبَّب إلينا بنَعْمائه ، وجاد علينا بجزيل عطائه ؛ فهو قريب إلى القلوب مجيب ؛ تَسمَّى بأسمائه الحسنى ، وأمرنا أن ندعوه بها ؛ فهو حكيم كريم ، قريب مجيب . قال : فقلتُ لها : فِيمَ حبُستِ ؟ فقالت : قومي عابوا علي ما سمعتَ منهم . فقلتُ لصاحب المارستان : أطلقها . ففعل ؛ فقلتُ: اذهبي حيث شِئْتِ. فقالت: إنَّ حبيب قلبي قد ملَّكني لبعض مماليكه، فإن رضي مالكي وإلَّا صبرتُ واحتسبتُ . فقلتُ : هذه والله أعقل مني ! فجاء مالكها ومعه ناس كثير ، فقال لصاحب المارستان : وأين بدعة ؟[1] فقال : دخل عليها سريّ فأطلقها. فلما رآني عظَّمني ؛ فقلتُ: هي والله أولىٰ بالتعظيم مني ، فما الذي تُنكر منها ؟ فقال : كثرةُ فكرتها ، وسرعة عبرتها وزفرتها[2] وحنينها؛ فهي باكية راغبة، لا تأكل مع مَن يأكل، ولا تشرب مع مَن يشرب؛ وهي بضاعتي اشتريتُها بكل مالي - بعشرين ألف درهم - وأمَّلت أن أربح فيها مثل ثمنها . فقلتُ : وما كانت صَنعتُها ؟ قال : مطرِبة . قلتُ : ومنذ كم كان بها هذا الداء ؟ فقال : منذ سنة . قلتُ : ما كان بدؤه ؟ قال : كان العُود في حِجْرها وهي تغني وتقول :

---

(١) اسم المرأة المحبوسة .
(٢) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض ، والزّفرة : التنفس .

وَحقِّكَ لا نقَضْتُ الدهرَ عهدًا ... ولَا كدَّرْتُ بعدَ الصفوِ وُدًّا
ملأتَ جوانِحِي والقلبَ وَجْدًا ... فكيف أقَرُّ أو أسلو وأهدَا
فيَا مَنْ ليسَ لي مولًى سِوَاهُ ... تراكَ تركتَني في النَّاسِ عبْدَا

قال: فكسرتِ العُود وقامتْ وبكتْ. فاتهمتُها بمحبَّة إنسان. فكشفتُ عن ذلك فلم أجد له أثرًا . قال : فقلتُ لها : هكذا كان ؟ فقالت :

خاطبني الوعظُ من جَناني[1] ... وكان وعظي على لساني
قرَّبني منهُ بعدَ بُعْدٍ ... وخصَّني الله واصطفاني
أجبتُ لمَّا دُعِيتُ طوعًا ... ملبِّيًا للذي دَعاني
وخِفْتُ مما جَنَيتُ قِدْمًا ... فوقعَ الحُبُّ بالأمانِ

قال: فقلتُ له: عليَّ الثمن وأزيدك. قال: فصاح: وافقراه !! من أين لك ثمن هذه؟ فقلتُ: لا تعجلْ عليّ، تكون في المارستان حتى آتي بثمنها. ثم مضيتُ وعيني تدمع وقلبي يخشع ؛ وبتُّ و لم أطعم غمضًا ، ووالله ما عندي درهم من ثمنها ، وبقيتُ طول ليلتي أتضرَّع إلى الله تعالى وأقول : يا رب ، إنك تعلم سري وجهري ، وقد اتكلتُ على فضلك وعوّلت عليك فلا تفضحني . فبينما أنا عند السَّحَر، إذا بقارعٍ يقرَع الباب، فقلتُ: من بالباب؟ فقال: حبيب من الأحباب، أتى في سببٍ من الأسباب ، من الملك الوهاب . ففتحتُ الباب ، فإذا برجل معه خادم وشمْعة. فقال: يا أستاذ، أتأذن لي بالدخول ؟ فقلتُ : ادخلْ ، من أنت ؟ قال : أنا أحمد بن المثنَّى ، قد أعطاني مالكُ الدار فأكثَرَ ؛ كنتُ الليلة نائمًا فهتف بي هاتف في المنام : احمل خمس بدرات[2] إلى سريّ يعطيها لمولى «بدعة» يفكُّها

(١) من قلبي .
(٢) بدرات : جمع بدرة ، والبدرة : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم ، أو سبعة آلاف دينار .

من الأَسر ومن رِقِّ العبودية الساعةَ ؛ فلنا بها عناية . فجئتُ مبادرًا بهذا المال، فاصنعْ به ما شئتَ . قال : فخررتُ لله ساجدًا وارتقبتُ الصبح . فلمَّا تعالىٰ ضوءُ النهار أخذتُ بيد أحمد[1] ومضيتُ به إلى المارستان ، فإذا الموكَّل به يلتفتُ يمينًا وشمالًا ، فلما رآني قال : مرحبًا ، ادخل ؛ فإن لها عند الله عناية ، هتف بي البارحة هاتف وهو يقول :

إنها مِنَّا ببالٍ ليسَ تخلو مِنْ نَوَالِ
قُربت ثم تسمَّتْ وعَلَتْ في كل حالِ

فحفظتُ هذا القول وكرَّرتُه إلى أن أتيتم . فدخلتُ عليها وهي تقول :

قدْ تصبَّرْتُ إلى أنْ عِيلَ في حبِّكَ صبري
ضاقَ من غُلِّي وقيدي وامتهاني فيكَ صدْري
ليسَ يخفىٰ عنك أمري يا مُنى قلبي وذُخري
أنتَ لي تعتقُ رِقِّي وتفكُّ اليومَ أَسري

قال: وأقبل مولاها يبكي ويخشع، فقلتُ له: قد جئناك بما وَرِثت وربْحِ خمسة آلاف . فقال : لا والله ! فقلتُ : بربْح عشرة آلاف.فقال : لا . فقلتُ : بربح المِثْل . فقال : لو أعطيتني الدنيا ما قبلتُ ، وهي حُرَّة لوجه الله تعالى . فقلتُ له : ما القصة ؟ فقال : يا أستاذ ، وُبِّختُ البارحةَ ، أُشهدك أني خارج من جميع مالي وهارِب إلى الله تعالى ؛ اللهمَّ كُنْ لي بالسَّعة كفيلًا وبالرزْق جميلًا . فالتفتُّ إلى ابن المثنَّى فرأيتُه يبكي ، فقلتُ له : ما بكاؤك ؟ فقال : ما رضي بي المولى لما ندبني إليه ؛ أشهدك أني قد تصدَّقت بجميع مالي لوجه الله تعالى . فقلتُ : ما أعظم بركة « بدعة » على الجميع !! فقامت بدعة ، فنزعتْ ما كان عليها ، ولبست مدرعة من الشَّعر ، وخرجتْ وهي تقول :

---

(١) أي : أحمد بن المثنَّى .

هربتُ منهُ إليـهِ بكَيتُ منهُ عليهِ
وحقِّه فهْوَ مولًى لا زلتُ بين يديهِ
حتى أنالَ وأحظَى بما رجوتُ لديهِ

قال سريّ : فأقمتُ بعد ذلك مدَّة حتى مات مولاها ، فبينا أنا أطوف بالكعبة ، وإذا أنا بصوتٍ محزونٍ من كَبِد مقروحةٍ ، وهو يقول :

قد تشَهَّرتُ بحبِّكْ كيفَ لي منك بقُرْبكْ
كيفَ بي يا نفسُ إن وا خـذكِ الله بذنْـبكْ
لم يقاسي أحدٌ يا نفسُ كرْبًا مثلَ كَرْبكْ
فسلـي ربَّكِ يأتِيـ ـكِ الرضا من عندِ ربِّكْ

قال : فتَبعتُ الصوت فإذا امرأة كالخيال ، فلما رأتْني قالت : السلام عليك يا سريّ . فقلتُ : وعليك السلام ، من أنتِ ؟ فقالتْ : لا إله إلا الله !! وقع التناكُر بعد المعرفة !! أنا « بدعة » . فقلتُ : ما الذي أفادك الحقُّ بعد انفرادِك عن الخلْق ؟ فقالت : أفادني كلَّ المنَى . وأنشدتْ :

يا مَن رأى وحشتي فآنسني بالقرْبِ مِنْ قُرْبِه فأنعشني
هربتُ من مسكني إلى سكني نَعَمْ ومِن مَوْطني إلى وطني
يا سكني لا خلوْتُ من سكني دهري ويا عدَّتي على الزَّمن
أوحشني ما فقدتُ منهُ فقد عـادَ بإحسانـهِ فآنسنـي
وعدتُ أيضًا وعادَ منعطِفًا كذلك مذْ كان منهُ عوَّدَني

ثم قالت : لا حاجة لي بالبقاء ، فخذني إليك ! قال : فحرَّكتها فإذا هي ميِّتة . رحمة الله عليها »[1] .

* * *

(١) كتاب التوابين لابن قدامة المقدسي صـ ٢٩٠ - ٢٩٦ .